

الحلقة السابعة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكّدت على سلطانه الإلهي.

هل من الممكن أن يعطي الإنسان ولاءه لشخصين في آن واحد؟ أو هل بمقدوره أن يحبّ أمرين في وقت واحد؟ للإجابة نقول: إنه من الصعب جداً أن نجد شخصاً يستطيع أن يكون تابعاً لقائدين أو زعيمين مثلاً، أو أن يحبّ أمرين متناقضين في وقت واحد. فهو في هذه الحالة إما أن يكون منافقاً أو انتهازياً. منافقاً لأنه يريد أن يخدع الآخرين بحقيقة ولاءه أو حبّه لكلا الأمرين. وانتهازياً لأنه يريد أن يستغل الظروف لمصلحته الخاصة، فإن رجحت كفة هذا الزعيم أو القائد لادّعى أنه كان من تابعيه. وإن وجد أن مصلحته تكمن في النهاية في أمر واحد معين، لاقتنص الفرصة.

حول هذا الوضع بالذات تحدّث المخلص المسيح قائلاً: «لَا يَفِدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبَغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ» (بشارة متى ٦: ٢٤). تحدّث هنا المخلص المسيح عن واقع ملموس. فلا أحد يستطيع أن يخدم سيّدين في آن واحد. إذ عند المحك أو التطبيق العملي نجده يخدم واحداً دون الآخر. إذ عليه أن يحدد ولاءه، فهو إما أن يخدم هذا الشخص أو ذاك، ولا يستطيع أن يخدم الاثنان معاً وفي نفس الوقت. ولقد طبّق المخلص المسيح هذا المبدأ على علاقة الإنسان بالله و بالمال. وقال أنه من غير الممكن أن يعطي الإنسان ولاءه لله وللمال في نفس الوقت. والسبب لأن حبّ المال إذا استحوذ على قلب الإنسان، فمن غير الممكن أن يستطيع حبّ الله بالحق والفعل.

صديقي المستمع، لماذا قارن المخلص المسيح في قوله هذا بين الله والمال؟ كلنا نعلم أن الله خالق الكون هو سيّد على الجميع، ولا يوجد أي شك في ذلك. لكن المسيح يؤكد في هذا القول: أن المال هو سيّد أيضاً. والسبب لأنه يصبح سيّداً على الإنسان الذي ينجذب وراءه، ويسعى إليه. وهذه حقيقة واقعية اختبرها واختبرها الكثيرون. إذ عندما يصبح جمع المال هو هدف الإنسان الأساسي، ينسى كل شيء غيره، وتُعمى أبصاره عن أي أمر آخر، ويغدو بالتالي هو السيّد على حياته. فكيف يقدر هذا الإنسان أن يدّعي محبة الله بالفعل، أو السعي لخدمته؟

تقدّم مرة شاب غني من المخلص المسيح وسأله قائلاً: «أيّها المعلّم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» فقال له يسوع: «لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزني. لا تقتل. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك». فقال الشاب: «هذه كلها حفظتها منذ حدثتني». فلما سمع يسوع ذلك قال له: «يعوزك أيضاً شيء: بع كل ما لك ووزّع على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني». فلما سمع ذلك الشاب حزن، لأنه كان غنياً جداً. فلما رآه يسوع قد حزن، قال: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله! لأنّ دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله!». فقال الذين سمعوا: «فمن يستطيع أن يخلص؟» فقال: «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» (بشارة لوقا ١٨: ١٩-٢٧).

هنا نجد بوضوح كيف أن شاباً غنياً أراد أن يعرف من المخلص المسيح ما هي الخطوات التي يجب عليه اتخاذها لكي يرث الحياة الأبدية؟ وبما أن المسيح كان يعلم حقيقة هذا الشاب ومدى تمسكه بالمال، فقد أراد امتحانه. فسأله أولاً إن كان قد حفظ الوصايا، فادّعى الشاب أنه حفظها أي طبقها منذ صغره. وهنا واجهه المسيح بالحقيقة المرة، فقال له: «يعوزك شيء واحد، اذهب ووزّع أموالك على الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني». وبتعبير آخر قال له المسيح: عليك أن تتخلّى عن حبك للمال لكي تستطيع أن تتبعني. فإما أن تكون عبداً للمال أو لي، إذ لا تستطيع أن تكون عبداً لثنتين معاً.

مستمعي الكريم، ثم عاد المسيح وأكد هذه الحقيقة، أي حقيقة عدم استطاعة أن يكون الإنسان عبداً للمال والله في آن واحد، فقال معلقاً على حزن الشاب الغني: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله!» أجل، هناك عقبة كبيرة تمنع من دخول الأغنياء إلى ملكوت الله، والسبب لأنهم يعبدون المال. لكن هذا لا يعني استحالة دخول الأغنياء إلى ملكوت الله، إذ جواباً عن السؤال الذي وجّه للمسيح: «فمن يستطيع أن يخلص؟» قال المسيح: «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله». أي إن الله قادر إذن أن يبدّل قلوب الأغنياء من الداخل، ويجعلهم يتخلّون عن محبة المال، فيعبدونه بالحق والفعل.

وهنا نصل إلى النتيجة الهامة وهي: أن عبادة الله الحقّة يجب أن تكون من كل القلب. وعلى الإنسان أن يتخلّى عن أي شيء قد يقف بينه وبين هذه العبادة الصحيحة. قد لا تكون محبة المال هي العقبة دائماً. فهناك حب الشهرة والظهور، أو الركض وراء شهوات الجسد، أو محبة الذات والأنانية، وغيرها الكثير. وكما أن هذا الشاب الغني مضى حزيناً لأنه وجد نفسه غير قادر عن التخلّي عن

محبة المال، هكذا الكثيرون نجدهم يحزنون، عندما يكتشفون أن عليهم أن يتركوا الشيء الذي يحبونه. لكن عندما يأتون إلى الله طالبين منهم تغيير نفوسهم من الداخل، سيجدون أن الأمر ليس مستحيلاً بقوة الله المغيّرة.

وماذا عنك مستمعي؟ هل أنت تخدم سيّدين؟ المال والله؟ أو الشهرة والله؟ أو محبة الذات والله؟ أو شهوات الجسد والله؟ عليك أن تأتي إلى الله طالباً منه أن يبدّل قلبك من الداخل. وأن تؤمن بالمخلص المسيح الذي وحده يحركك من أي قيد، ويعطيك القوة لكي تعبد الله من كل القلب.